الفصل السادس

وثائق المفاوضات غير المعلنة بين مصر وأمريكا

- أى قرار يُقرأ بطريقتين، مرة من موقع الضعفاء فيصبح تنفيذه على حسابنا، ومرة من موقع الأقوياء فيصبح لصالحنا
- جولد بيرغ لمحمود رياض:

  ٤٠ قرارا من الأمم المتحدة لن تكفل للعرب انسحاب إسرائيل.
- واشنطن: لا مشكلة فى الانسحاب من سيناء
- القاهرة ترفض الاحتكار الامريكى للحل وواشنطن تضغط وتلجأ للمساومات السياسية.

فى صباح يوم ٢٥ أكتوبر ١٩٦٧- كان جوزيف سيسكو، وهو الرجل الثانى فى الوفد الأمريكى بعد جولد بيرغ، قد اتصل تليفونيا بمحمد رياض- مدير مكتب محمود رياض المصاحب له- فى فندقه.

وفى المكالمة قال سيسكو: لقد سمعنا من السفير الهندى «فى الأمم المتحدة» بأن الوزير رياض لم يعد متحمسا للمشاورات الجارية «بشأن استصدار قرار من الأمم المتحدة».. ولكننى أرجوك.. قل للوزير أن يتريث بعض الوقت قبل العودة إلى القاهرة، إن الأحداث الأخيرة «يقصد قيام مصر بإغراق المدمرة إيلات ورد إسرائيل بقصف المدنيين فى السويس» هى شىء مؤسف، لكنها ربما تدفع المشاورات «الجارية» إلى التحرك.

وبعد أن أوحى سيسكو لمحمد رياض بأن الولايات على وشك أن تبلور موقفا إيجابيا فى هذه المشاورات الجارية لاستصدار قرار من مجلس الأمن لحل المشكلة سياسيا، أضاف جملة موحية بقوله: «إننا نفعل هذا من أجل مصر والأردن فقط» «يقصد استبعاد سوريا».. ونحن سنعمل، وسيكون نفوذنا فى تنفيذ القرار «حينما يتم الاتفاق عليه» ضخما.

إن اجتماع جولد بيرغ مع الوزير «محمود رياض» كان مثمرا.. وآراء الوزير كانت قيمة وهى محل دراسة.. لذلك نستحثه على عدم العودة إلى القاهرة الآن.

إن نص الحوار منقول من الأوراق الخاصة لمحمد رياض، والتى تنشر هنا بعض محتوياتها لأول مرة، وبطبيعة الحال فإنه كان يستعين بتلك الأوراق وهو ينقل ما يجرى لمحمود رياض. وكان جولد بيرغ قد اجتمع مع محمود رياض يوم السبت ٢١ أكتوبر- نفس اليوم الذى أغرقت مصر فيه المدمرة الإسرائيلية إيلات. ويومها ركز جولد بيرغ فقط على ضرورة استبعاد أى كلمات وصفية من أى صياغة لمشروع قرار يقدم إلى مجلس الأمن. بكلمات مثل «العدوان الإسرائيلى» أو «الاحتلال الإسرائيلى» أو ما شابه ذلك.

راسك والرفاعى

وفى اجتماع عقده عبد المنعم الرفاعى وزير خارجية الأردن مع دين راسك وزير الخارجية الأمريكى، سأله الرفاعى عمَّا إذا كانت الولايات المتحدة ستقف فى مجلس الأمن مؤيدة

للشرعية الدولية، وبالتالى تؤيد الانسحاب الإسرائيلى الكامل من الاراضى العربية؟. ويومها رد عليه دين راسك بقوله: إننى لست متشائما.!.

وحينما حاول الرفاعى أن يخرج من الوزير الأمريكى بإجابة محددة، كان كل ما قاله. إن الموضـوع من اختصاص آرثر جولد بيرغ.. وعلـى الأردنيين الاتصال به ليعرفوا بالضبط الموقف الأردنى المحدد!

ولم يكن دين راسك يومها يقصد من كلماته تلك أى معنى سئ بالنسبة للأردن، فالواقع أن الأردن كانت تعول على نفوذ بريطانيا لدى الولايات المتحدة بقدر ما تعول على علاقاتها الطيبة مع الولايات المتحدة ذاتها. لكن القضية هى إنه إلى جانب الرئيس الأمريكى ليندون جونسون نفسه، كانت السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط يتولاها فى تلك المرحلة ثلاثة على وجه الخصوص، إنهم أولا الإخوان روسـتو- والت روسـتو مستشـار جونسون للأمن القومى ومنسـق تقارير أجهزة المخابرات.. ويوجين روستو وكيل وزارة الخارجية الأمريكية الذى يقوم بدور «المصفاة» لتقارير الدبلوماسيين فى الأمم المتحدة، ثم ممثل أمريكا فى الأمم المتحدة جولد بيرغ وهو فى النظام الأمريكى بدرجة وزير فى الحكومة ويتعامل مباشرة مع الرئيس الأمريكى إلى جانب تعامله مع وزير الخارجية.

وهـؤلاء يجمع بينهم- فوق كونهم يهودا- أنهم صهيونيون من قمة رأسـهم إلى أخمص أقدامهم، وطبقا لشهادة صحفى بريطانى فى كتاب شهير له فإنه: «لم يكن من الغريب أو غير المعتاد أن يقوم الأخوان روسـتو، وآرثر جولد بيرغ، بجمع التبرعات لصالح إسـرائيل باعتبارهم من الشخصيات البارزة فى الطائفة اليهودية الأمريكية».

أمـا الدبلوماسـيون المحترفون من طراز جوزيف سيسـكو، فهم يتلمسـون اتجاه الريح دائما. فسيسـكو من طاقم وزارة الخارجية ولكنه سـيغير ولاءه بين يوم وآخر.. متأرجحا بين رئيسه المباشر جولد بيرغ.. أو رئيسه الدائم دين راسك.. وحسب موقع كل منهما من الدائرة المقربة إلى الرئيس الأمريكى جونسون.

وكان جونسون يتابع بنفسه. ومن بيته الأبيض فى واشنطن. مجريات الأمور فى الشرق الأوسـط لأنه كان محركا رئيسـيا لها مـن البداية، بحيث إن أبا ايبـان كان يتصرف من الأصل على أسـاس أن كل ما يتعلق بمدى وحدود وتوقيت وطبيعة الانسـحاب الإسرائيلى من الأراضى العربية المحتلة «يكمن بين يدى الرئيس جونسون» على الرغم من أن إسرائيل تتظاهر علنا بأن الأمر فى يدها هى.

محمود رياض

وكان أكثر من يعرف هذه الحقيقة ويتعامل على أساسها- بعد أن بدأت لعبة المساومات السياسية- هو محمود رياض وزير الخارجية المصرى الموجود وقتها فى نيويورك منذ منتصف سبتمبر.

كان محمود رياض على المستوى الموضوعى يكاد يحفظ عن ظهر قلب كل ورقة فى ملف الصراع العربى الإسرائيلى، لقد بدأ حياته ضابطا بالجيش المصرى، وحضر مباحثات رودس التى أدارتها الأمم المتحدة بين العرب وإسرائيل فى سنة ١٩٤٩، وتولى مسئولية المخابرات الحربية المصرية فى قطاع غزة، وبعد الثورة فى ١٩٥٢ تولى محمود رياض إدارة فلسطين بوزارة الخارجية، وطوال عمله بعد ذلك فى المجالين الدبلوماسى والسياسى، فإن قضية الأمن العربى كانت شاغله الدائم، وفى قلبها القضية الفلسطينية كعنصر محورى، وبهذا الشكل أصبحت خبرات محمود رياض متراكمة ومتصلة دائما، وهو شىء نادر الحدوث فى السياسة العربية حينئذ، مع إنه الطابع المميز للسياسة الإسرائيلية وأحد عناصر قوتها.

أما على المستوى الشخصى فإن محمود رياض دمث الخلق، ولا يتحدث إلا بعد أن يستوعب وجهة نظر الطرف الآخر تماما، وفى البداية لا يتدخل إلا بتساؤلات تركز على جوهر الموضوع، ولا يرتاح كثيرا فى الصياغات العامة أو المراوغة، ويفضل دائما قياسها فى انعكاساتها الواقعية.

وبرغم أن وزير الخارجية فى كل نظام سياسى هو المستشار الأول لرئيس الدولة فى السياسة الخارجية وليس مبتكرها أو صانعها، إلا أن نقطة اللقاء الدائمة بين أفكار جمال عبد الناصر كزعيم ومحمود رياض كوزير للخارجية كانت هى الإيمان المشترك الصلب بإمكانيات مصر المنظورة وغير المنظورة، خصوصا كمحور لقوة العالم العربى أو ضعفه، ثم نظرتهما إلى الصراع العربى الإسرائيلى فى إطار مستقبلى يتجاوز التقوقع داخل إطار الواقع الراهن وقيوده.

مباراة شطرنج

من هنا فإن مباحثات محمود رياض فى نيويورك مع آرثر جولد بيرغ ممثل الولايات المتحدة فى الأمم المتحدة، لم تكن مجرد جانب من الصراع الدبلوماسى الراهن. إن كلا

منهمـا كان يمثل سياسـة تناقض تماما السياسـة التى يمثلها الآخـر، ولذلك فإن جوهر المسـاومة السياسية الكبرى من بدايتها أصبح يجرى هنا- فى هذه اللقاءات المتباعدة ولكن الحاسمـة والمليئة بالتربـص المتبادل، وعلى الرغم من أن اللعبة الدبلوماسـية لها قواعدها وأصولهـا، إلا أنـه فيما وراء الكلمات فإن كلا من محمـود رياض وآرثر جولد بيرغ يعرف فـى داخله تماما ما يريده من الآخـر، ويعرف أيضا نقاط قوته وضعفه، ويعرف أخيرا أنه حتـى ولـو تصور العالم كله أن ما يجرى فى حرب يونيو ١٩٦٧ هو حرب إقليمية كبرى، فإن الحقيقة المجردة هى أنه مجرد جولة واحدة سـبقتها جولات، وسـتتبعها جولات، وإذا كانت الأردن قد أصبحت بعد حرب يونيو ١٩٦٧ لا تملك سوى الطريق الدبلوماسى، ومـن ثـم فهى فى حاجة إلى قرار من الأمم المتحدة يدعم جهودها، إلا أن مصر تعترف من البداية أن القوة فى هذه «الغابة الدولية» هى التى تحمى الحق وتسترده، ومن ثم فإن مصر الآن تحتاج إلى وقت كاف تسـترد فيه قوتها، والى أن يتم ذلك فلا بأس من إعطاء الفرصة الدبلوماسية.

هكذا اتسمت لقاءات محمود رياض وجولد بيرغ فى شهرى أكتوبر ونوفمبر ١٩٦٧ بطابع لاعبى الشطرنج. يريد كل منهما قياس تفكير الآخر قبل أى خطوة، وحساب انعكاس كل تحرك على التحركات التالية.

وكان محمـد رياض هو الذى يقوم بتسـجيل محاضر تلك اللقـاءات، مهما كانت تتخذ طابعا شخصيا، وقد ظل محمود رياض يعتبر محمد رياض من أخلص المواهب التى صنعتها الدبلوماسية المصرية، ولذلك كان شيئا طبيعيا أن يصبح محمد رياض وزيرا للدولة، إلى أن استقال فورا احتجاجا على زيارة السادات للقدس فى ١٩٧٧.

وكلمـا كنت أذهب إلى الأمم المتحـدة لتغطية دورتها السـنوية، وقضيتنا المتكررة فى مجلـس الأمن خلال تلك الفـترة، كانت لقاءاتى مع محمود رياض ومحمد رياض شـبه يوميـة، لكننـا لم نكن نتحدث فى التطـورات الجارية بجدية إلا فـى الطرقات أو فى الهواء الطلق، فكما يعرف كل دبلوماسى مخضرم بالأمم المتحدة، كان محمد رياض على وجه الخصوص ينبهنى إلى افتراض وجود تصنت مسـتمر بالنسـبة لبعض الوفود، وفى المقـر الامريكى والمقر السـوفياتى على وجه الخصوص توجـد فرقة مجهزة ضد التصنت الاليكترونى الذى تريد به كل واحدة من القوتين العظميين معرفة الأفكار الداخلية لممثلى القوى الأخرى.

سر اللقاءات

وفيما سيرد هنا من اقتباسات لمشاورات وحوارات فى نيويورك، فإن مصدرى الأساسى هو الأوراق الخاصة لمحمد رياض، والتى تنشر هنا لأول مرة.

إن آرثر جولد بيرغ المندوب الأمريكى ظل يناور طوال أسابيع لإخفاء المطالب الأمريكية الإسرائيلية الحقيقية وراء صياغات دبلوماسية تبدو بريئة لأول وهلة. وأصبحت مهمة محمود رياض هى إخراجه من هدفه هذا ولذلك ففى لقاء بينهما يوم الأربعاء أول نوفمبر «١٩٦٧» طرح محمود رياض أسئلة محددة يريد أن يعرف الإجابات الأمريكية عنها. ولا يهم أن تكون جيدة أو سيئة- هكذا قال محمود رياض- ولكن المهم أن تكون الإجابات صحيحة ودقيقة، والأسئلة تتعلق بالتصور الأمريكى للعلاقات الثنائية مع مصر.. والموقف الامريكى من الاحتلال الإسرائيلى.. ثم الموقف الأمريكى من القضية الفلسطينية.

وبالنسبة للسؤال الأول كان رد جولد بيرغ هو توجيه دعوة مفتوحة لمحمود رياض للذهاب إلى واشنطن- بما يعنى أن هذا من اختصاص وزير الخارجية دين راسك، وبالطبع لم يذهب محمود رياض.

أما بالنسبة للسؤال الثالث فإن بلورة موقف امريكى من قضية اللاجئين «كما سمعها» سوف يستغرق وقتا.. ولذلك فإن الولايات المتحدة تريد الآن تركيز الجهود فى التوصل إلى صيغة لحل «النزاع» المترتب على حرب يونيو.

وهنا فقط بدأ جولد بيرغ يكشف عن بعض أوراقه. إن الرئيس جونسون يشعر أولا بخيبة أمل طالما لم يقم الرئيس جمال عبد الناصر علنا بنفى أى اشتراك للولايات المتحدة فى الحرب إلى جانب إسرائيل، ثم إن العلاقات الدبلوماسية يجب أن تعود بين مصر والولايات المتحدة لان «دونالد» بيرجس- رئيس قسم رعاية المصالح الامريكى بالقاهرة بعد قطع العلاقات- ليس على المستوى العالى الذى يسمح بعمل شىء فى هذا الموضوع.

ثم قال جولد بيرغ: نحن لا نعتقد بأن القوات الإسرائيلية يجب أن تستمر على أراضيكم، ولكن المفتاح هنا هو أن تعترف مصر بإسرائيل، ولا أعنى هنا الاعتراف السياسى بالمرة، أعنى فقط احترام سيادة إسرائيل والإقرار لها بالملاحة فى قناة السويس ومضيق ثيران، أما بالنسبة لقطاع غزة فنحن لا نقر بقاء إسرائيل فيه، لكننا لا نقر عودة مصر إليه أيضا، ولا إعطاءه للفلسطينيين كذلك، ثم إن السوفيات رفضوا أن يذكروا لنا أى شىء عن مدى وحدود تسليحهم لكم.. ونريد أن نتكلم معكم فى هذا، لماذا التسلح؟ ولماذا جيش مصرى كبير.

وأضاف جولد بيرغ مؤكدا: إن ما أذكره هنا ليس رأى جولد بيرغ، وإنما هو رأى جونسون، وأنا لا أذكر شيئا مختلفا عن تعليماتي من الرئيس جونسون، وكل ما أقوله يجب أن يوضع داخل إعلانه فى ١٩ يونيو «عن المبادئ الخمسة».

الاجتماع التالى

وجاء الاجتماع التالى لجولد بيرغ مع محمود رياض بعدها بيومين، لقد تم فى يوم الجمعة ٢ نوفمبر ١٩٦٧ وقد بدأه جولد بيرغ بإبراز برقية محولة إليه من وزارة الخارجية الأمريكية تلخيصا لمقال نشرته «الأهرام» بالقاهرة فى نفس اليوم، وفى المقال سربت القاهرة ضمنا بعض طلبات الرئيس جونسون من مصر، إنها بالفعل تلك الطلبات التى ذكرها جولد بيرغ لمحمود رياض قبل يومين، ولكن نشرها فى العالم العربى يلحق المزيد من الإضرار بالمصالح الأمريكية ويزيد الصورة الأمريكية سوءا على سوء: إن الرئيس الأمريكى ليندون جونسون يحب دائما الضرب تحت الحزام، ولكنه يحب أكثر أن يتلقى الخصم تلك الضربات فى صمت وخشوع.

وبهدوء شديد قال محمود رياض لجولد بيرغ: إننا هنا نقرأ الكثير فى الصحف الأمريكية ضد مصر وضد الرئيس جمال عبد الناصر، على الأقل ما ينشر فى القاهرة صحيح.

ثم عاد جولد بيرغ يتستر وراء المبادئ الخمسة التى كان الرئيس جونسون قد أعلنها فى ١٩ يونيو، وهنا قال محمود رياض: إننى لاحظت فى المرة الماضية أن حديثك كله كان يدور عن عودة سيناء إلى مصر، وأخشى أن يكون هذا هو ما تفهمه من حديثى عن الانسحاب الإسرائيلى، أريد أن أكون واضحا معك ولا أغشك. حينما أتحدث عن الانسحاب فنحن نتحدث عن الانسحاب الإسرائيلى من الأراضى العربية كلها. هذا موقف مصر.

قال جولد بيرغ: لكن غزة على الأقل تظل مشكلة مستقلة، غزة لابد من حسمها.

رد محمود رياض: بالنسبة لنا محسومة.

لا مشكلة فى الانسحاب من سيناء

قال جولد بيرغ: أقصد أنها مشكلة تحتاج إلى حل.

رد محمود رياض: بالنسبة لنا.. محلولة.. غزة تعود إلى ما كانت عليه أولا. تعود إلى مصر.

قال جولد بيرغ: على أية حال فإننى أكرر لك.. ليست لدينا أى مشكلة تتعلق بالحدود المصرية مع إسـرائيل، سيناء مصرية وتعود لمصر، لكن فى جوانب أخرى من المشكلة لابد من حدود متفق عليها.

قال محمود رياض: هذا يعنى إعطاء إسرائيل مكاسب إقليمية، نحن لن نقبل بهذا، مفهومنا للنقاط الخمس «التى أعلنها جونسون» هو أنه يجب انسحاب إسرائيل إلى حدود ٤ يونيو.

رد جولد بيرغ: النقاط الخمس لم تشر إلى أى تاريخ، وأفضل عدم ذكر التاريخ.

فـى اليـوم التالى اجتمع جولد بيرغ مع محمود رياض مرة أخرى، فى هذه المرة هو يعبر عن قضية لأن ممثلى الدول غير الدائمة فى مجلس الأمن يعدون مشـروعا ويتشـاورون مع الجميع فيه، ما عدا الوفد الامريكى، كيف يحدث هذا؟ وأضاف جولد بيرغ: هذه ليست مسئوليتكم، إنها دول أخذت على عاتقها أن تضع شيئا، وتشاورت فيه معكم، وبعضها لم يتشاور مع الروس، ولكنهم لم يستشيروا الولايات المتحدة، يجب عليهم أن يعرفوا آراءنا، أنهم أيضا لم يتصلوا بإسرائيل وهذا شىء سيئ، يجب أن يتصلوا بالكل..

وأضاف جولد بيرغ: لكنى تكلمت مع سـفير الهند «حيث الهند إحدى الدول العشـر غير دائمة العضوية فى مجلس الأمن وقتها «وتكلمنا عن الأسلوب، واحتججنا رسميا، النتيجة أن الولايات المتحدة لا يمكنها أن تقبل هذه الورقة لأنها سـلكت هذا الأسـلوب، إنها دولة يجب أن نحترم آراءها ولا نقبل عدم التشاور معها.. إننا حتى لم نحصل عليها رسميا.. والهنود حتى لم يعطونـى تأكيدا بوجود تلك الورقة.. مجلس الأمن لا يمكن أن يعمل بهذه الطريقة.. ونحن لا يمكننا عمل شىء دون أن يتم التشاور معنا أولا.. مقدموا القرار ليست لديهم أية مسؤوليات مثل التى علينا.. وكذلك ليس لديهم أى نفوذ «على إسـرائيل» مثل الذى لدينا، هذا أسـلوب غير محتمل.. أقول لك هذا بكل صراحة وأمانة، فهذه مناورة من الآخرين «يقصد السـوفيات» لا يمكن أن نوافق على هذا، ولا على هذا الأسلوب.. أن تتم مواجهتنا بشىء من هذا..

أنا حانق

ثم قال جولد بيرغ: كلمة أخيرة.. هذه مناورات.. مناورات سياسـية، هذا لا يؤدى إلى سـلام، لم يؤدّ إلى الانسـحاب، لا يؤدى هذا إلى أى شىء، يمكن إقرار ٤٠ قرارا ولكن لن يؤدى هذا إلى أى شـىء.. لقد قلت لكم إنه يجب التركيز على حل سياسـى، حل سلمى. وكما قلت أنت لى «من قبل» إنك تعبت.. فأنا كذلك تعبت..

ومـرة أخـرى، وبهدوء محمـود رياض المعتـاد، رد بقوله: أنا راغب وانظـر دائما إلى الحقائق.. سواء كانت سيئة أم جيدة.. وأنت تتكلم بغضب.

قاطعه جولد بيرغ معترضا: لا.. أنا حانق.

قـال محمود رياض: إن لـدى بعض التجربة في مجلس الأمـن، لقد مثلت دولتي في المجلس، ورأست المجلس.. المشاورات أمرها معروف تماما.. ليس لدى شيء رسمي، كل مـا أعلمه أن الدول غير الدائمة تعمـل.. وكان هذا بناء على موافقتكم، أما عن الاتصالات فهذه ليسـت مسـئوليتي.. كان من الممكن أن تعرفوا ما يدور من رئيس المجلس.. تسـأله بنفسك.. نحن نسأل الجميع واحدا واحدا ونأخذ منهم المعلومات. المهم أن نسأل الجميع، إذا كان موقفكـم أن وفدكـم ينتظر المعلومات فهذا أمر آخـر.. إنني لم أحضر هنا من أجل المناورات، إذا سـاعدتمونا كان بها، وإلا سنسـتمر في سبيل السلام.. ثم، إذا حضرت لي فمن البداية وأردت أن تتكلم عن ورقة معينة كنا قد انتهينا من مدة طويلة..

قـال جولـد بيرغ: أنت هنـا منذ ٤٥ يوما، أما أنا فمنذ الخامـس من يونيو هنا من أجل السلام.. أنت غير مسئول، ونحن لم نولد أمس، لقد خرج المشروع بعد مشاورات بين الهند والروس والعرب.. أنتم تشاورتم في هذا كله مع الروس، وليس معنا.. رد محمود رياض: هذا غير صحيح.. المشروع الهندي الأصلي يختلف عما يتشاور فيه الدول العشر غير الدائمة.

قـال جولد بيرغ: إنني كنت أعمل من أجـل إعداد ورقة.. ولكن يبدو أنك غير مهتم.. لن ينفع. ولكن على أية حال سنستمر في عملنا في كل طريق.

حسابات سياسية

إن نهاية هذا الاجتماع الموحية قد لا تبدو متمشية مع مجراه العاصف، لكن تلك كانت طبيعة لعبة المسـاومة السياسية الكبرى الجارية في نيويورك في تلك الفترة لاستصدار قرار مجلس الأمن، جولد بيرغ يتكلم وينفعل ويغضب كممثل لقوة عظمى في المجتمع الدولي.

لقد كانت الدول العشر غير دائمة العضوية في مجلس الأمن تتشاور، بتنسيق من الهند- لإعداد مشـروع قرار، وقد اختارت كلها ألا تتشـاور مع الولايات المتحدة، ومع آرثر جولد بيرغ بالذات، لأنهم حفظوا عن ظهر قلب مواقفه المنحازة لإسرائيل طوال الشهور الخمسة الأخيرة، إن كل ممثلي الدول في الأمم المتحدة أصبحوا يتبادلون السخرية من إصرار جولد بيرغ على إعطاء إسرائيل مكاسب إقليمية من الأراضي العربية، والولايات المتحدة تستطيع

أن تضمن لإسرائيل ذلك هناك فى ميدان القتال، ولكن فى هذه المؤسسة الدولية- هذه الأمم المتحدة- لابد من الالتزام بالشرعية الدولية، هذا حوار الشرعية وليس حوار الدبابات.

وحينما يقول جولد بيرغ: إن أربعين قرارا من مجلس الأمن لن يكفل لمصر والعرب انسحاب إسرائيل من الاراضى المحتلة فإنه مصيب تماما. لكن وزير خارجية مصر لم يأت إلى نيويورك لكى يحقق الانسحاب الإسرائيلى بقصاصة ورق، إن إسرائيل لن تخرج من الأرض المحتلة إلا بمثل ما دخلتها: بالقوة.. والحوار الحقيقى هو ذلك الذى يجرى من أجله بناء جيش جديد فى مصر، وهذا هو الذى يجعل محمود رياض يرد على جولد بيرغ بنفس الوضوح قائلا: «إذا ساعدتمونا كان بها، وإلا سنستمر فى سبيل السلام». جولد بيرغ أيضا يقول: إنه يعمل فى مجلس الأمن منذ الخامس من يونيو من أجل السلام. و«السلام» هنا هو كلمة الشفرة لحقيقة ما يسعى إليه كل طرف، لكن مفهوم السلام المصرى يختلف تماما عن مفهوم السلام الإسرائيلى الذى يتبناه هنا جولد بيرغ منذ الخامس من يونيو. ومن الناحية النظرية فإن جولد بيرغ: كممثل لقوة عظمى، يستطيع أن يجلس فى قاعة مجلس الأمن واضعا ساقا على ساق، ولا يتشاور مع أحد، وخصوصا إذا كان التشاور مع ممثل دولة إقليمية قطعت علاقتها الدبلوماسية مع الولايات المتحدة قبل خمسة أشهر، يستطيع جولد بيرغ أن يهدأ إذن، ولتأت أية دولة تشاء بمشروع القرار الذى تشاء، بل ليكن ممثلو الدول العشر الأخرى الأعضاء فى مجلس الأمن موافقين مقدما، وعند التصويت يستطيع جولد بيرغ أن يرفع يده فى قاعه مجلس الأمن معترضا، فيسقط تلقائيا القرار المطروح بحكم الفيتو.

لكن جولد بيرغ يعرف أيضا أن هذا الفيتو له ثمن، وحتى الآن قطعت سبع دول عربية علاقتها الدبلوماسية مع أمريكا، وحتى الآن لا تعيدها، وحتى الآن تزايد النفوذ السوفياتى فى العالم العربى بدل أن ينكمش، وحتى لم تأت دولة عربية واحدة مهرولة إلى مائدة المفاوضات المباشرة مع إسرائيل كما يريد جولد بيرغ، وحتى الآن أصبحت المصالح الأمريكية فى العالم العربى فى حالة تراجع وانكماش. وكل هذا نتيجة لحسابات جرى وضعها فى التخطيط لحرب يونيو، ولم تنجح منها فقط سوى الجزء العسكرى.

الشكوى

فى نيويورك كنت جالسا فى قاعة مجلس الأمن أتابع المناقشات مبعوثا من جريدتى، أخبار اليوم، فى الأمم المتحدة هناك جمعية عامة هى بمثابة البرلمان حيث لكل دولة-

صغرت أو كبرت– صوت واحد، أما مجلس الأمن فهو بمثابة الحكومة أو السلطة التنفيذية، ومنذ ١٩٦٧ على وجه الخصوص أصبحت الولايات المتحدة تمنع مجلس الأمن من إصدار أية قرارات لمعاقبة إسرائيل، من خلال استخدام حقها فى النقض» الفيتو.

فى هذه المرة إسرائيل هى التى كانت تشكو من القصف المدفعى وغارات التسلل ضد احتلالها فى الضفة الشرقية لقناة السويس.. فى البداية قامت قوات الصاعقة المصرية بمعركة حاسمة فى رأس العش، بعدها غارات محددة ومركزة بالطيران المصرى.. بعدها قامت مصر بإغراق المدمرة الإسرائيلية «ايلات». والآن أصبحنا فى عام ١٩٦٨.

المجلس يناقش ويستمع: إسرائيل لديها من يحميها بالفيتو فى مجلس الأمن ومصر أيضا.. فى الواقع إن الأغلبية الطاغية فى كل الأمم المتحدة تساند مصر لكن الغابة هى الغابة والضعيف لا حقوق له إلى أن يصبح قويا.. ومصر تشق طريقها حثيثا لتسترد قوتها، فى الجلسة طلب مندوب دولة بترولية عربية الحديث، ووجدت دبلوماسيا هنديا إلى جوارى يبتسم، لم أفهم، قال لى: انتظر قليلا.. ستفهم.

وبدأ المندوب البترولى العربى يتحدث، جملتين وعشرة جمل مع مصر بالكامل وضد إسرائيل بالكامل ثم استدار إلى المندوب الامريكى فى مجلس الأمن وقال له ما خلاصته «والله يا أمريكا عيب عليكم، عيب كبير، عيب تسندوا حتة دولة مفعوصة اسمها إسرائيل وتقفوا ضد دولة هرم زى مصر.. عيب.. لازم تختشوا وتبطلوا دعمكم لليهود وتشخطوا فيهم فينسحبوا.. أنتم دولة كبيرة ومقامها عالٍ كبير وكلمتها مسموعة من القريب والبعيد، دولة تعرف ربنا زينا وأكثر ناس بتصلوا كل يوم أحد فى الكنيسة».

ثم استدار الرجل من جديد بكرسيه ليشير بإصبعه نحو المندوب السوفياتى قائلا: «إذا كان الناس الروس دول واقفين مع مصر.. يبقى عيب عليكم يا أمريكا.. بقى الروس دول.. الكفرة الشيوعيون الملحدون الداخلون جهنم بإذن الله لأنهم لا يعرفون ربنا.. يقفوا مع مصر.. وأنتم تقفوا مع إسرائيل؟» الخ.. الخ.

وفى نيويورك كانت وكالات الأنباء ونشرات الأخبار الرئيسية فى التليفزيون، الساعة السادسة والسابعة والخبر الرئيسى يتكرر بتوسع وإسهاب: إسرائيل قامت بغارات ناجحة ضد العمق المصرى نفذتها بقوات خاصة محمولة بطائرات الهليكوبتر، الطائرات تسللت إلى نجع حمادى فى صعيد مصر، الغارة فشلت فى تدمير قناطر النيل لكنها نجحت فى إصابة محطة كهرباء نجع حمادى، موشى ديان وزير الدفاع الإسرائيلى يصرخ مهددا:

إذا لم توقف مصر حرب الاستنزاف ضدنا فورا فسوف ننقل الحرب إلى كل مرافق مصر ومدنها، لن نسمح لمصر بأن تعيد بناء قواتها المسلحة.

أسبوع آخر فى نيويورك وفى شارع برودواى نزلت من الأتوبيس أتمشى.. كنت قادما من مقر الوفد المصرى لدى الأمم المتحدة حاملا فى يدى مجموعة من الصحف المصرية ترد من القاهرة كل أسبوع، تفرجت على فاترينات المحلات واحدة بعد الأخرى بحثا عن راديو صغير ورخيص ويعمل بالموجة القصيرة اشتريه حتى استمع إلى إذاعة القاهرة.. فى النهاية دخلت أحد المحلات ووضعت مجموعة الصحف على المائدة حتى أجرب مع البائع راديو بعد آخر.

بعد لحظات تطلع البائع الامريكى إلى مجموعة الصحف وفاجأنى بلغة عربية مكسرة: آه.. أنت مصرى؟ إذن أنا أمام واحد من يهود نيويورك إياهم.. اللهم طولك ياروح.. نعم مصرى أنما خالينا فى موضوعنا.. الراديو ده.. بكم؟.

رد الرجل بابتسامة ثعبانية صفراء: لا يهمك السعر.. سأعمل لك تخفيضا مخصوصا يا خبيبى.. بعدها وبلا استئذان، امسك الرجل بإحدى الصحف المصرية وفردها أمامه.. فى الصفحة الأولى خريطة تفسر للقارئ المصرى الثغرة الرادارية التى تسللت منها الطائرات الإسرائيلية إلى نجع حمادى.

تطلع الرجل إلى الخريطة أمامه وبكل غل وتشفٍ قال لى: شوف خبيبى.. دايان يعملها فيكم وأنتم تضربوا لخمة؟ شوف خبيبى لازم تسمعوا الكلام مفيش فايدة.. ناصر مفيش (ورفع الرجل يده اليمنى يجز بها رقبته كما يفعل الجزار مع الذبيحة) ناصر مفيش.. جيش مفيش.. مصر ذات نفسها مفيش.. عرب مفيش.. بترول مفيش.

طيب.. عبد الناصر والجيش ومصر والعرب مفهوم.. لكن بترول؟ أى بترول؟

قال الرجل بكل ثقة وتأكيد: بترول أويل.. مفيش.. شوف خبيبى.. البترول لأمريكا وإحنا وأمريكا كده كده.. أمريكا المخ.. وإحنا العضلات.. مفيش فايدة.. ديان فاجأكم من العالى من فوق وأنتم تضربوا لخمة فى الواطى..

خطفت الصحيفة المصرية من يد الرجل، وباقى الصحف وقلت له: والله أنت اللى رجل واطى، وديان بتاعك ده جاى له يوم.. ومنعت نفسى بصعوبة من أن أبصق على الرجل لكن النوم ليلتها فارقنى حتى الفجر من حرق الدم.

فى مساء اليوم التالى ذهبت إلى منزل سفير مصر فى الأمم المتحدة محمد عوض القونى.. بناء على دعوة عشاء من السفير محرضا لى بأن محمود رياض وزير خارجية مصر وعبد المنعم الرفاعى وزير خارجية الأردن سيكونان موجودين.

سألنى محمود رياض: لم المحك أمس فى الجلسة المسائية بمجلس الأمن.. خير؟

حكيت له قصة الراديو واليهودى الصهيونى الأمريكى صاحب المحل.

تابعنى محمود رياض بهدوئه المعتاد ثم قال لى مبتسما: إذا أخذت حكاية كهذه بعصبية علـى هـذا النحو.. فماذا أفعل أنا كلمـا طلب جولد بيرغ مقابلتى وهـو يهودى صهيونى امريكى لا يعمل سفيرا للولايات المتحدة بقدر ما يعمل سفيرا لإسرائيل؟.. ماذا يفعل أبناؤنا المقاتلون على ضفة قناة السـويس وهم يرون الاحتلال الإسـرائيلى فى مرمى البصر؟.. قلت لـه: أنـا لم أتوقف عند شماتة الرجل بقدر ما لفت نظرى شـيئان.. أولا حينما يتكلم عن إسرائيل- وهو يحمل الجنسية الأمريكية- يقول نحن.. ثانيا كلامه عن البترول.

تدخـل عبد المنعـم الرفاعى قائلا: يهود أمريكا، ويهود نيويـورك خصوصا، فى حالة تعبئة مستمرة لحساب إسرائيل، فلنأمل أن يصبح العرب جميعا، وخصوصا عرب البترول، بمثل هذا الوعى بما يجرى، ثم إنهم هنا يركزون على مصر، وخصوصا إنها كبيرة العرب، وإذا كسروا شوكة هذا الكبير سيطيحون فينا جميعا بترول وغير بترول.

قلـت لمحمود رياض والرفاعى: لماذا نجـىء إلى الأمم المتحدة إذن؟ بماذا يفيدنا مجلس الأمن؟ هذا تضييع للوقت.

ابتسـم محمـود رياض مقاطعا: بالضبط أنت بلسـانك قلتها: نحن هنـا فعلا من أجل تضييع الوقت، أقولها لك جادا.. يلزمنا وقت لإعادة بناء الجيش، نحن نعرف من البداية أن إسـرائيل احتلت الأرض بقوة السلاح ولن تخرج منها إلا بقوة السلاح، وحتى أى قرار نأخذه من مجلس الأمن لن ينفذ القرار نفسه.. خذ مثلا أحسن قرار فى العالم لابد أن نقرأه بطريقتين.. نقرأه مرة من موقع الضعفاء فيصبح تنفيذه على حسابنا.. ونقرأه مرة من موقع الأقويـاء فيصبح لصالحنا.. الكلام الجاد لن يكون هنا.. فى مجلس الأمن أو غيره، الكلام الجاد ستقوله قواتنا المسلحة فى ميدان القتال.. إلخ.. الخ..

□□□